بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَضَاتٌ مِنْ صُوَرِ التَّكَافُلِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ المُسْلِمِينَ مُتَكَاتِفِينَ، وَغَرَسَ فِي قُلُوبِهِمُ الحُبَّ لِإِخْوَانِهِمْ أَجْمَعِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، حَضَّ النَّاسَ عَلَى الشُّعُورِ بِالآخَرِينَ، وَالمُسَارَعَةِ إِلى تَفْرِيجِ كَرْبِ المَكْرُوبِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَكُلِّ مَنْ تَبِعَ نَهْجَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ: اتَّقُوا اللهَ تَقْوَى المُؤْمِنِينَ المُتَكَافِلِينَ، الوَاقِفِينَ مَعَ إِخْوَانِهِمْ كُلَّ وَقْتٍ وَحِينٍ، ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[1].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

اعْلَمُوا – أَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ– أَنَّ مِنْ جَمَالِ هَذَا الدِّينِ العَظِيمِ مَا نَرَاهُ مِنْ تَكَافُلٍ بَيْنَ أَبْنَائِهِ، وَتَعَاوُنٍ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ بَيْنَ المُسْتَمْسِكِينَ بِعُرَاهُ، المُقْتَفِينَ هُدَاهُ. كَيْفَ لا! وَالأُلْفَةُ بَيْنَ النَّاسِ سِرُّ تَقَدُّمِ الأُمَمِ، وَالإِحْسَاسُ بِالآخَرِينَ أَحَدُ أَسْبَابِ بُلُوغِ القِمَمِ. فَاللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى النِّعْمَةِ الكُبْرَى، وَالمِنَّةِ العُظْمَى، نِعْمَةِ الإِسْلامِ. وَمِنْ صُوَرِ التَّكَاتُفِ الأَسَاسِيَّةِ –يَا عِبَادَ اللهِ– أَلَّا يَنْسَى الإِنْسَانُ حَقَّ أَهْلِهِ؛ فَفِي الحَدِيثِ: ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ))، فَإِنْ قَصَّرَ فِي حَقِّهِمْ كَانَ لِحَقِّ غَيْرِهِمْ أَكْثَرَ تَضْيِيعًا. وَقَدْ جَاءَ عَنْهُ ﷺ: ((يَدُ المُعْطِي العُلْيَا، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ: أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ)). بَلْ إِنَّ هَذَا الحَقَّ مُمْتَدٌّ إِلى الْقَرَابَةِ؛ فَهُمْ مَشْمُولُونَ بِتَكَاتُفِ المُسْلِمِ وَتَكَافُلِهِ، قَالَ اللهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾[2]. وَمِنْ صُوَرِ تَكَاتُفِ المُجْتَمَعِ التَّفْرِيقُ بَيْنَ المُتَخَاصِمِينَ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الأُجُورِ المُقَرِّبَةِ إِلى مَرْضَاةِ الرَّبِّ الغَفُورِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ

(١) المائدة: ٢
(٢) الإسراء: ٢٦

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1]، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2]، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ذلِكَ مِنْ أُسُسِ الإِسْلامِ وَشُرُوطِهِ، لا مِنْ نَوَافِلِهِ وَفُرُوعِهِ، بَلْ سَمَّى المُصْطَفَى فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ بِالحَالِقَةِ، وَقَالَ: ((هِيَ الحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ)). وَمِنْ صُوَرِ التَّكَافُلِ أَلَّا يَنْسَى المُسْلِمُ حُقُوقَ إِخْوَانِهِ وَأَهْلِ مُجْتَمَعِهِ، مِنْ بِرٍّ لِوَالِدَيْنِ، وَصِلَةٍ لِرَحِمٍ، وَعِنَايَةٍ بِقَرِيبٍ، وَمُرَاعَاةٍ لِجَارٍ، وَإِكْرَامٍ لِضَيْفٍ، وَمُشَارَكَةٍ فَاعِلَةٍ فِي كُلِّ صُوَرِ التَّعَاوُنِ وَأَوْجُهِ التَّكَافُلِ الاجْتِمَاعِيِّ الَّتِي حَضَّ عَلَيْهَا دِينُنَا الحَنِيفُ، مَعَ حُسْنِ الالْتِفَاتِ إِلى ذَوِي الشَّدَائِدِ وَالمُحْتَاجِينَ؛ فَإِنَّ فِي قَضَاءِ دُيُونِ الغَارِمِينَ، وَتَفْرِيجِ كَرْبِ المُعْسِرِينَ، أَعْظَمَ الأُجُورِ وَأَجَلَّ المَثُوبَاتِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)). فَلْنَكُنْ يَدًا وَاحِدَةً فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ؛ فَإِنَّ مُجْتَمَعًا يَشِيعُ التَّرَاحُمُ وَالتَّكَافُلُ بَيْنَ أَفْرَادِهِ، لَهُوَ مُجْتَمَعٌ رَاسِخُ البُنْيَانِ، مَحْفُوظٌ مِنَ التَّصَدُّعِ وَالهَوَانِ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ المُتَآلِفِينَ:

مِنْ أَوْجُهِ التَّكَافُلِ الَّتِي لَمْ يُغْفِلْهَا الإِسْلامُ أَنَّهُ كَمَا جَعَلَ لِلْوَالِدَيْنِ حُقُوقًا، جَعَلَ لِلأَوْلادِ حُقُوقًا كَذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾[3]، وَقَدْ قَالَ ﷺ لِهِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ: ((خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ)). وَقَدْ أَوْلَى الإِسْلامُ كَذَلِكَ – تَرْسِيخًا لِمَبْدَأِ التَّكَافُلِ– عِنَايَتَهُ بِاليَتِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[4]، وَوَعَدَ كَافِلَهُ المُعْتَنِيَ بِهِ بِالجَنَّةِ الَّتِي هِيَ مُرَادُ المُؤْمِنِينَ، وَمُنْتَهَى مَطْمَحِ المُخْلِصِينَ المُوَفّينَ، حِينَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: ((أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ))، وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ.

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَتَكَاتَفُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ وَتَآزَرُوا، وَكُونُوا صَفًّا وَاحِدًا، تَرْتَقُوا وَتُفْلِحُوا.

(١) الأنفال: ١
(٢) الأنفال: ١
(٣) البقرة: ٢٣٣
(٤) النساء: ١٠

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ الَّذِي حَبَّبَ إِلَيْنَا كُلَّ خَيْرٍ، وَكَرَّهَ فِي قُلُوبِنَا الضَّرَّ وَالشَّرَّ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى عَوْنِ الآخَرِينَ، وَأَسْرَعُهُمْ إِلَى مَا فِيهِ مَرْضَاةُ رَبِّ العَالَمِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ، وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّهُ لا أَهْنَأَ فِي قَلْبِ المُسْلِمِ مِنْ تَفْرِيجِ الكُرُبَاتِ، وَالوُقُوفِ مَعَ النَّاسِ عِنْدَ الأَزَمَاتِ؛ فَهُوَ دَلِيلُ حُبِّ المَرْءِ لأَخِيهِ، فَفِي الحَدِيثِ: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)). وَقَدْ تَوَعَّدَ اللهُ كَاشِفَ هُمُومِ النَّاسِ بِالتَّفْرِيجِ عَنْهُ مَتَى أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ، أَوْ أَلَمَّتْ بِهِ مُلِمَّةٌ، فَفِي الحَدِيثِ: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)). وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَلَّا يَعْزُبَ عَنْ أَذْهَانِنَا، وَلا يَغِيبَ عَنْ وَاقِعِنَا أَنْ نَقِفَ مَعَ حَاجَاتِ المُسْتَضْعَفِينَ، سَوَاءٌ كَانَتْ حَاجَاتٍ مَادِّيَّةً أَوْ مَعْنَوِيَّةً. فَأَمَّا المَعْنَوِيَّةُ فَهِيَ أَلَّا نَنْسَاهُمْ قَطُّ مِنْ دُعَائِنَا فِي صَلَوَاتِنَا وَخَلَوَاتِنَا، فَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إِلَّا قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ)). فَادْعُوا اللهَ لَهُمْ بِأَنْ يَسُدَّ فَاقَتَهُمْ، وَيَكْفِيَهُمْ مَا أَهَمَّهُمْ. وَأَمَّا الجَانِبُ المَادِّيُّ فَهُوَ أَنْ نُعِينَهُمْ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لإِغْنَائِهِمْ، وَقَضَاءِ حَاجَاتِهِمْ، مُتَّبِعِينَ فِي ذَلِكَ الوَسَائِلَ المَشْرُوعَةَ، وَالجِهَاتِ القَانُونِيَّةَ المَوْثُوقَ بِها، فَقَدْ قَالَ ﷺ: ((وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)).

فَاتَّقُوا اللهَ –أَيُّهَا المُسْلِمُونَ–، وَلْيَكُنْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ سَنَدًا، فَبِالتَّعَاوُنِ تَتَحَقَّقُ الأَهْدَافُ، وَبِالتَّكَافُلِ يَنْعَمُ المُجْتَمَعُ بِالخَيْرِ وَالمَعْرُوفِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إمَامِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا للمُسْلِمِينَ والمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، ونَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، ونَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمةً، وأَلْسِنةً صَادِقةً، ونَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(١) الأحزاب: ٥٦